# الدرس الثاني عشر

# حبقوق

## النبي الذي ساءل الله

### مقدمة

سفر حبقوق فريد في تساؤله الجسور حول طرق الله. وهي تساؤلات يطرحها النبي نفسه. ولئلا نعمد إلى التسرع في إدانة هذا النبي، يحسن بنا أن نتذكر أنه عاش وسط سنوات عصيبة. كانت "سنوات حرب" كان الجيش البابلي أثناءها يجتاح البلاد ويجتاح البلاد واحداً بعد الآخر. فنرى للحظة الجانب البشري من النبي حبقوق (وهو يجاهد مع أسئلته ويصارع شكوكه). لكننا نرى في نهاية السفر أنه قام برحلة روحية منعشة أعادته إلى نقطة الاتكال على الرب وعبادته.

### خلفية تاريخية

قبل جيل حبقوق، كان الآشوريون هم القوة المهيمنة في الشرق الأدنى القديم لمدة قرنين ونصف (حوالي 885–612). غير أنه وبعد 650ق م، بدأت أشور تضعف تحت حكم أشوربانيبال (حوالي669–627ق م). وبحلول عام 626 ق. م استقل الكلداني نَبو –أبلا –أُسُر (=نبوبولاسّر) بابل عن الملك الآشوري. وقد حدث هذا أثناء حكم يوشيّا الذي ملك على يهوذا (64–609ق م). وقد مهّدت عدة هزائم كبيرة لآشور أثناء السنوات 616–614 لهجوم مشترك على نينوى، الحصن الأشوري، قام به المادِيون والبابليون في 612 ق م. وعلى الرغم من أن بقية من أشور استمرت في النضال مدة ثلاثة سنوات أخرى، إلا أن سلب مدينة نينوى كان بمثابة النهاية الحاسمة للإمبراطورية الآشورية التي كانت ذات يوم قوة هائلة.

كانت أشور مدعومة من قبل حلفائها المصريين. وفي عام 609ق م حاول نَخو الثاني فرعون مصر الزحف لمساعدة البقية الآشورية (بقيادة أسّور – أوبالّط الثاني). لكنه تأخر في ذلك، ففات الأوان، لكنه في زحفه قتل الملك يوشيّا وهو خارج للتصدي للجيش المصري في مجدّو في شمال إسرائيل. وبطريقة ما، ولغياب دولة أخرى قوية، وجد المصريون والبابليون أنفسهم في تنافس على السياسة في فراغ القوة الذي تركه الآشوريين. وفي 605ق م، احتشد هذان الجيشان للقتال في معركة كركميش. فكان أن هزم القائد البابلي نبوخذ رزّار (=نبوخذ نصّر) المصريين. وقام إثر انتصاره بغزو سوريا – فلسطين. وقد أدّى هذا إلى حصار أورشليم عام 605ق م، في الوقت الذي صارت فيه يهوذا أرضاً تابعةً لبابل.

## مناسبة كتابة السفر

نحن لا نعرف الكثير عن شخص حبقوق (بالعبرية חֲבַקּוּק ). حتى إن حبقوق لا يؤرّخ رسالته بذكر اسم أحد الملوك. غير أن الملاحظات الداخلية توحي بأن تاريخ كتابة السفر سابق للغزو البابلي عام 605ق م. فحسب حبقوق 1: 6، فإن الرب يوشك أن يقيم الكلدانيين، أي الامبراطورية البابلية–الجديدة. أمّا في ما يتعلق بزمن اختبار حبقوق الشخصي في سلسلة هذه الأحداث فأمر صعب التحديد. وكل ما يمكننا قوله بأمانٍ من الخطأ هو أن سفر حبقوق لا بد أن يعود إلى فترةٍ بين 626ق م (عندما استقلت بابل عن أشور) و605ق م (عندما اجتاح البابليون يهوذا). ويلمّح حبقوق إلى الأحوال في يهوذا في زمنه 1: 2–4 عندما ساد العنف والظلم. وكان شعب الله يتجاهل شريعة موسى:

"لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتّةً.
لأن الشرير يحيط بالصّدّيق، فلذلك يخرج الحكم معوجاً."

حاول يوشيّا أثناء حكمه أن يجري حركة إصلاح ويطهّر الأرض من الإثم. غير أننا نعرف أيضاً أن حركة الإصلاح كانت سطحية نوعاً ما (انظر الملاحظات على إرميا). وهكذا فإن ملاحظات حبقوق يمكن أن تنطبق على أية فترة من حكم يوشيّا. وربما تكون حتى أكثر ملاءمة بعد مقتل يوشيّا عام 609ق م عندما صارت يهوذا خاضعة لمصر. لكن هذا أمر لا يمكننا التحقق منه.[1]

## تركيب السفر

من أجل نظرة عامة للتركيب الأدبي لهذا السفر، انظر الجدول التقسيمي للسفر في ملحق هذا القسم. يقع السفر في قسمين رئيسيين يصف الأصحاحان الأول والثاني حواراً بين حبقوق والله، بينما يسجّل لنا الأصحاح الثالث صلاة شعرية كتبها حبقوق.

[1] يمكن بالتأكيد لوصف الثوران السياسي المذكور في 2 ملوك 23: 31–37 أن يفسر لنا الأحوال في الأرض كما ذكرها حبقوق. فمع موت يوشيا عام 609ق م ("ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوّته حسب شريعة موسى")، مرّت يهوذا لفترة قصيرة باضطراباتٍ شديدة. ثم حكم يهوآحاز بن يوشيّا لفترة قصيرة. لكنه كان ملكاً شريراً (2ملوك 23: 32). وقد خلعهُ المصريون ونصبوا أخاه ملكاً مكانه. وهو أيضاً "عمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل آباؤه" (2 ملوك 23: 37).

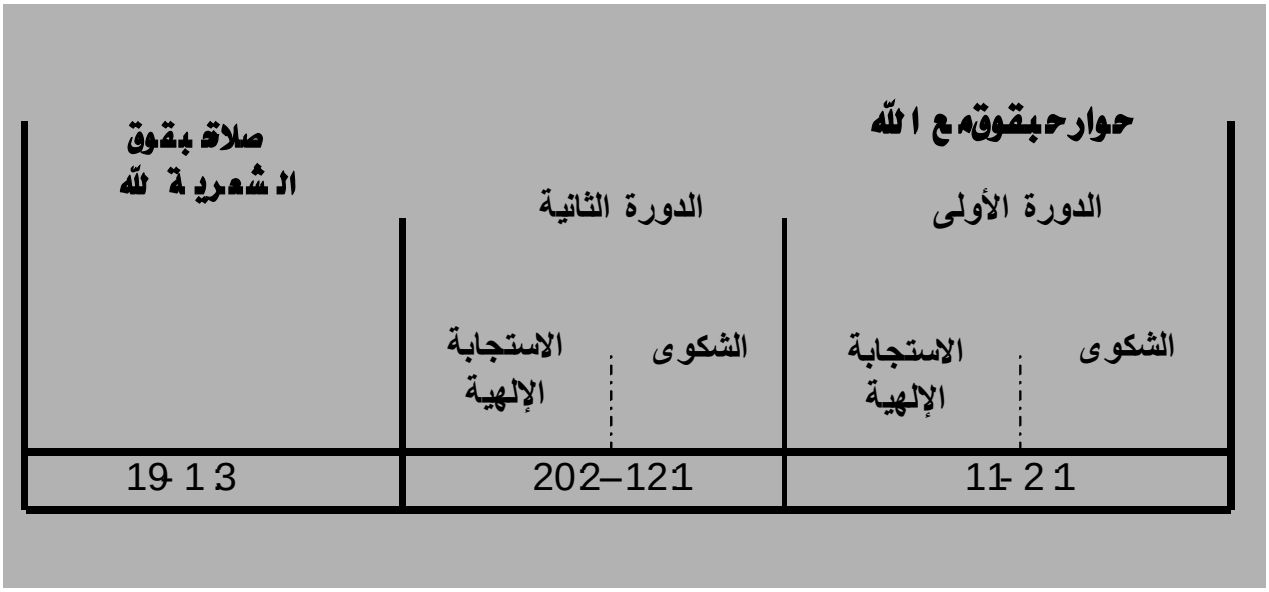


تطوّر السفر

## 1. شكوى حبقوق الأولى واستجابة الله (1: 2–11)

نرى النبي في بداية السفر منزعجاً من الأحوال السائدة في أرض يهوذا. واستجابة لسؤال حبقوق، يطمئنُهُ الرب أنه مدرك لما يجري وأنه يعمل شيئاً حيال الأمر.

### أ. شكوى حبقوق الأولى (1: 2–4)

يعبّر حبقوق في الآيات 2–4 عن قلقه من حالة يهوذا الروحية. وهو يبين العنف والإثم والدمار والشر والنزاع بين الشعب. وبيت القصيد موجود في الآية الرابعة التي تفيد أن الشعب يتجاهلون شريعة موسى، وانهم لا يقيمون العدل، وأن أشرار الشعب يحكمونه. غير أن النبي قلق حول هذه الأمور إلى حد مفرط. فهو يتكلم كما لو أن الله ملوم جزئيا: "حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟" (الآية 2). وبعبارة أخرى فإن حبقوق يثير مسألة أن الله راضٍ. فهنالك أبرارٌ في الأرض يصرخون طالبين تدخل الله، غير أنه *لا يبدو* أن الله يفعل شيئاً.

ورغم أننا لا نعرف كم كان عمر حبقوق في ذلك الوقت، إلاّ أنه يمكننا على الأرجح أنه عاش فترة حركة الإصلاح التي قام بها يوشيّا. قام هذا الملك بمحاولة جادة لردّ الأمة إلى كلمة الله. وربما شعر حبقوق أن الله يُفترض أن يفعل ما هو أكثر، استجابة لصرخات الأبرار، وذلك بتطهير الأرض من الشر.

### ب. استجابة الله لشكوى حبقوق (1: 5–11)

وبطبيعة الحال فإن الله ليس راضياً عما يجري، كما يتصور حبقوق. فالله يوشك، في واقع الأمر، أن يتخذ إجراءً جاداً ضد يهوذا. فخطة الله هي أن يؤدب شعبه تأديباً قاسياً بإرسال جيش غازٍ، أي البابليين (وكلمة "الكلدانيين" في الآية 6 هي الاسم القديم للبابليين). ويقول الله إنهم شرسون ومرهوبون من كثيرين، وأنهم سينقضّون على أعدائهم "كالنسر المسرع إلى الأكل". ومن المؤكد أن الله مدرك أنهم ليسوا شعباً أخلاقياً أو مترفّقاً. وحسب الآية 7، فإن إحساسهم "بالصواب" ينبع منهم شخصياً لا من مقاييس الله. وبكشف الله خطته هذه لحبقوق، فإنه يقول أيضاً إن إثمهم لا يفوت الله ("ثمّ تتعدّى روحها فتعبر وتأثم. هذه قوّتها إلهُها" –الآية 11)، الأمر الذي يقودنا إلى الشكوى التالية.

## 2. شكوى حبقوق الثانية واستجابة الله (1: 12–2: 20)

لا يقتنع حبقوق بخطة الله للتعامل مع مسألة خطية يهوذا، ولهذا فإنه يتجرأ على التكلم مرة أخرى.

### أ. شكوى حبقوق الثانية (1: 12–2: 1)

يدرك حبقوق أن خطة الله لاستخدام بابل ضد يهوذا هي تعبير عن تأديب الله للأمة، وفي هذا انسجام كامل مع إعلان الله السابق حول القسم المتعلق باللعنات في تثنية (28– 29). وسؤال حبقوق الوحيد هو: هل هذا ملائم ليهوذا؟ فهل من المنطقي أن يستخدم الله البابليين لتأديب يهوذا؟ وواضح أن حبقوق لا يرى ذلك.

يبدأ في الآية 12 بالاعتراف بسرمدية الله: "ألست أنت منذ الأزل يا رب؟" ثم يستنتج، "لا نموت". يتحدث حبقوق هنا في ضوء فهمه الكتابي عن علاقة يهوذا العهديّة مع الله. وعبر العهد القديم كان الله قد أكد مرة تلو الأخرى التزامه بشعب عهده. فلأن الله سرمدي،

لن تتوقف الأمة أبداً عن كونها شعباً (وحبقوق محق تماماً في هذا ). وفي القسم الثاني من الآية 12، يعترف حبقوق بأن الله قد اختار البابليين ليكونوا *عصا تأديب* ليهوذا ("يا رب للحكم جعلتها"). لكن النبي يثير في الآية 13 اعتراضاً لاهوتياً، فهو يقول: "عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور (برضى)." وبعبارة أخرى فإن حبقوق يذكّر الله بأنه أعلن نفسه كإله أخلاقي كامل. فليس أمراً مفهوماً أن يقوم *إله أخلاقي* بتكوين فريقٍ واحدٍ مع بابل التي هي على درجة كبيرة من اللاأخلاقية. وفضلاً عن ذلك، فقد تكون يهوذا سيئة (كما أعلن حبقوق نفسه متحسراً)، لكن شعبها ليس على نفس درجة سوء البابليين. فكيف يمكن أن تُستخدم بابل "الأكثر شراً" ضد يهوذا "الشريرة"؟ ويبدو أن حبقوق يعتقد أنه لكي يستخدم الله أمّة أخرى لتأديب يهوذا، لا بد له أن يقوم على الأقل باستخدام أمّة أفضل نسبياً من يهوذا.

وفي الآيات 14–17، يقدم توضيحاً عن طريق استخدام لغة المجاز. فهو يقدم قياساً تمثيلياً لشبكة صيد تُستخدم لحصد السمك من البحر. وفي هذه الحالة، فإن من يوجّه الشبكة هو بابل. أمّا السمك فهم الشعوب الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة أمام بابل. ويبدو أن حبقوق يصارع من أجل إحساس بالعدل في شؤون العالم. فبابل تسود لأنها قوية، لا لأنها بارّة. فلماذا يسمح الله للعالم بأن يسير على هذا النحو؟ فمن شأن هذا أن يجعل المرء يستنتج أن من الأفضل له أن ينضم إلى زمرة "المتنمّرين" (بغض النظر عن طبيعتهم الأخلاقية)، بدلاً من أن يحاول العيش بطريقة أخلاقية تتفق مع ناموس الله. وفضلاً عن ذلك، فإن كل ما تفعله بابل هو أنها "تذبح لشبكتها" (الآية 16). وبعبارة أخرى، فإنهم لا يعترفون بفضل إله السماء الحقيقي في انتصاراتهم. بل تعزو بابل النصر لنفسها، وهي تعزو الفضل للأوثان. وهكذا فإنه لا يبدو أن الله يتمجد بالسماح لبابل بالمضي على هذا النحو. وتأتي بنا حبقوق 2: 1 إلى نهاية هذا القسم. ويبدو أن النبي يدرك أنه، وهو الإنسان الزائل، قد تخطى حدوده بالتجرؤ على التشكيك في طرق الله. وهو ينتظر أن يقوم الله بتوبيخه.

### ب. استجابة الله لشكوى حبقوق الثانية (2: 2–20)

تتألف استجابة الله من جزئين أساسيين. يقول الله في الآيات 2–5 إن البار يجب أن يتعلم الثقة بالله، بينما يؤكد في الآيات 6–20 أن بابل لن تمضي دون عقاب. فالله كلي العلم وكلي القوة بما يكفي لتحقيق هدفين. سيستخدم بابل من أجل مقاصده، لكنه في نفس الوقت سيحتفظ بطبيعته الأخلاقية وذلك باعتباره بابل مسؤولة عن طرقها وإيقاع العقاب عليها!

1. يجب أن يتعلّم البار أن يثق بالله (2: 2–5)

يأتي جواب الله عن طريق رؤيا، ويُفترض أن تسجّل هذه الرؤيا لمصلحة الآخرين. يشرح الله في الرؤيا كيف ينظر إلى بابل والمصير الذي ينتظرها. وسيقوم أيضاً في الوقت المناسب للقتال دفاعاً عن شعب عهده. لكن هذه الرؤيا هي للزمن المحدد أو "الميعاد"

(2: 3). فلا داعي لأن يقلق حبقوق حول مسألة تحقيق الله لكلمته ("لا تكذب" الآية 3، أي لن تفشل). غير أن على حبقوق أن يتعلم أن ينتظر أن يفعل الله الأشياء في وقته الخاص.

يبدو أن الآيتين 4 و5 تتحدثان عن بابل المتغطرسة الجشعة. فبابل أشبه برجل لا يمكن إشباع شهيته المادية الشبقة. أي أن بابل تواصل غزو مزيد من الناس –محطمة حياتهم لكي تغنى وتزدهر. ويقف الرجل "البار" بالمقابلة مع بابل المتكبرة. إن قضاء الله هو أن يحيا البار بالإيمان، فهو يدخل في علاقة مع الله بالإيمان، ويحيا بالإيمان، فهو يتكل على الله في تطورات أحداث حياته. والمقصود بهذا الرجل البار هو حبقوق. فهو *رجل بار* يجب أن يتعلم أن يثق بإله متسيد وحكيم وشفوق. يعرف الرب أفضل مسار للأحداث. وهو قوي قادر على تحقيق كل مقاصده! ربما لا يفهم حبقوق كيف يعمل الله، لكن ما هو أكثر أهمية هو أن يتعلم أن يثق بالله. فلو كانت هنالك طريقة أفضل، للجأ إليها الله.

2. ينتظر الأشرار دينونة مؤكدة (2: 6–20)

يحتوي هذا الجزء على سلسلة من خمس فقرات تتحدث عن "ويلات" موجّهة ضد بابل (وضد كل الذين يتمثّلون بطرق بابل). وتبدأ هذه السلسلة بشجب للذين يسعون وراء الربح المادي بالعنف، وتنتهي بإدانة الذين يتكلون على عبادة الأوثان. وبالمقابلة مع الأوثان التافهة (التي لا تفعل شيئاً غير الجلوس على قاعدتها تجمع الغبار)، فإن الرب في هيكله المقدس. هو مرتفع فوق كل أحداث الأرض ويشرف عليها من عرشه السماوي. وهو يتحكم في كل شيء، وسينجز مقاصده البارّة. ولا تقدر حتى بابل أن تهرب منه!

## 3. صلاة حبقوق وعبادته لله (3: 1–19)

أصمتت النبي المتشكك استجابةُ الله لشكواه الثانية. إذ يجب أن يحيا البارّ بالإيمان؛ وهكذا حان وقت التعبير عن الثقة بالرب. ولا يقوم حبقوق بالنطق بكلمات ضعيفة تعبّر عن الاتكال. بل يقوم بكل عناية وحرص بكتابة استجابته، لتخرج صلاة شعرية. ثم يقوم بإحالتها على "رئيس المغنّين" (لاحظ 3: 19) لكي يستخدمها شعب الرب في الهيكل.

### أ. استجابة تمهيدية (3: 1–2)

يدرك حبقوق أن خطة الله ستتم، وأن بابل ستغزو يهوذا في زمنه. ولا يوجد ما يمكن أن يُفعل لإيقاف ذلك. غير أنه يعرف أيضاً أن الله إله رحيم، وهو لهذا يصلّي قائلاً: "في الغضب اذكر الرحمة." ومع وقوع غضب الله على يهوذا، شعب عهده، فإنه يتضرع إلى الله أن

يخفف غضبه برحمته. والإشارة إلى "عمل الله" طريقة للحديث عن أعمال الله الماضية في التدخل لمصلحة شعب عهده. فكما تحرّك الله للتدخل لمصلحة شعبه في أوقات قديمة، فإن حبقوق يعرب عن حنينه إلى أن يفعل الله ذلك في جيله.

**ب. رؤيا لتجلّي الله كمحارب (3: 3–15)**

تقع هذه الرؤيا في قسمين هما الآيات 3–7 و8–15. لاحظ صيغة الـ (inclusio)[1] بداية كل قسم ونهايته. تبدأ الآيات 3–7 وتنتهي بأسماء جغرافية، بينما تبدأ الآيات 8–15 وتنتهي بإشارات إلى البحر والمياه.

ليست الآيات الشعرية سهلة الفهم، لكنها مبدئياً تهدف إلى تصوير الله كمحارب دافع عن شعب عهده. تبدأ الآية الثالثة بالحديث عن ظهور الله على الأرض. ويبدو أن في ذهن حبقوق ما حدث في سيناء عندما نزل الله مع الرعد والبرق والسحب الكثيفة. وفي تثنية 33: 2 نجد أن جبل فاران مرتبط بسيناء.

أمّا الإشارة إلى "شعاعه"، فيشير على الأرجح إلى الصواعق التي يمكن ليده أن تطلقها على الأرض (انظر خروج 19: 16؛ 20: 18). ربما يكون هنالك أيضاً تلميح إلى فقرات أخرى في العهد القديم مثل قضاة 5: 4. وتُثيرُ الاضطراباتُ الكونيةُ التي تنتج عن مجيئه الخوفَ في قلوب سكان الأرض نفسها (انظر خروج 15: 14).

أمّا الآيات 8–15، فتأتي على خلفية تخليص الله للشعب قديماً في البحر الحمر والانتصار في جبعون. ويفكر حبقوق هنا بلغة انطلاق الله كمحارب وقائد للجند السماوي لكي يحارب دفاعاً عن شعبه، لأن هذا هو ما يأمل حبقوق أن يفعله الله ضد بابل (لاحظ الإشارات في الآيتين 8–9 إلى الخيل والمركبات والقوس). وتذكّرنا الآية 11 بالمعجزة التي أجراها الله في إيقاف الشمس أثناء انتصار الشعب على الأموريين في جبعون (انظر يشوع 10: 12–14). وتصوّر الآيات 12–14 الله وهو يتقدم عبر الأرض ليدين الشعوب الأخرى لمصلحة شعب عهده. ويبدو أن النبي يتحدث عن أوضاع ماضية والزمن الحاضر في نفس الوقت. فكما تحرك الله في المرات الماضية، فإن من المأمول أن يتحرك أيضاً ضد بابل. وقد تكون الإشارة إلى ضرب "رأس بيت الشرير" إشارة مبطّنة مخفية إلى ملك بابل (انظر 2: 9–11).

**جـ. استجابة حبقوق بالثقة في وجه تأديب الأمة (3: 16–19)**

[1] هذه الكلمة هي وصف لصيغة شعرية، حيث يبدأ المقطع بكلمة أو بموضوع ما ثم ينتهي المقطع بنفس الكلمة أو الموضوع.

يقر حبقوق بأن عليه أن ينتظر مجيء تأديب الله على شكل هجوم بابل. سيكون ذلك "يوم ضيق" يجعله يرتعد خوفاً. فليس أمراً ممتعاً أن يتأمل في ما هو على وشك أن يحصل ليهوذا. وأمّا الإشارات في الآية 17 إلى تأثّر المنتوجات الزراعية والحيوانات، فهي مرتبطة بأشكال اللعنات العهدية المفصّلة في تثنية (انظر تثنية 28: 31–34، 49–51).

وعلى الرغم من وقوع اللعنات التثنوية، إلّا أن حبقوق يقول إنه سيبتهج في الرب. وهذا يعني أنه عمل بموجب التشجيع الموجود في حبقوق 2: 4، وأنه لن يسمح للتأديب المكروه بأن يبعد قلبه عن الرب أو يحرمه من تسبيحه. وهو يختم بقوله: "الرب السيد قوتي، ويجعل قدميّ كالأيائل، ويمشيني على مرتفعاتي" (3: 19). يقول تشيسولم، "كما ترتحل الأيائل عبر الأراضي الصعبة دون تعثّر أو التعرض للإصابة، فإن حبقوق سيحتمل صعوبات الغزو القادم. وسيعينه على ذلك اتكاله على الرب المتسيد."[2]

## رسالة السفر

الله جدير بالثقة بشكل كامل في كل طرق تأديبه ودينونته. ويجب علينا أن نتعلم، كحبقوق، أن نسبّح الله ونعظمه ونبتهج به ونحن نمر في ظروف ربما لا نفهمها بشكل كامل.

[2] Robert B. Chisholm, Jr., *Interpreting the Minor Prophets* (Grand Rapids, MI: Zondervan Pub. House, 1990), 197.